ألفية من الأدب التركي: تاريخ موجز

طلعت هلمان، تحرير: جين وارنر، سيراكيوز: مطبعة جامعة سيراكيوز، 2010، 200 صفحة.

A Millennium of Turkish Literature: A Concise History

Talat S. Halman, Jayne L. Warner (editor), Syracuse, USA: Syracuse University Press, 2010. 200p.

عرض: مايكل مكجاها

في هذا الكتاب الصغير، يواصل طلعت هلمان جهوده المستمرة لتعريف الجمهور الناطق بالانكليزية بالأدب التركي. هذه المقدمة موجهه إلى القراء الذين لا يعرفون شيئا عن هذا الموضوع، ولا متسع لديهم من الوقت أو الاهتمام للقراءة أو الدراسة المتعمقة. في بعض الأحيان، يتم التطرق إلى قوائم طويلة من الأسماء، لكن ليس بشكل كبير، وعموما يمكن قراءة هذا الكتاب.

يعتبر هذا العنوان مبهما بعض الشئ. نعم، هناك نصوص من الأدب التركي يبلغ عمرها ألف سنة أو أكثر. مع ذلك، فقد اقتصر الأمر على تداول معظم النصوص الأدبية شفهيا لعدة قرون، ولم يتم تدوينها حتى وقت قريب. كذلك، يتم استخدام مصطلح الأدب التركي لوصف الأعمال التي كتبت في ما لا يقل عن ثلاثة أشكال مختلفة من اللغة التركية:

(1) اللغة التركية الدارجة، وصيغت منها كلمات كثير من الأغاني التقليدية المعروفة والأمثال والحكايات الشعبية، والسيناريوهات لمسرح العرائس والمسرحيات الشعبية القديمة؛

(2) اللغة التركية العثمانية، والتي صيغت منها أشعار عريقة عن موضوعات كالحب والتصوف، وكذلك الأطروحات العلمية؛

(3) ما يسمى بالتركية الأصيلة، أو «التركية النقية»، والتي كانت بدايتها مع بداية الإصلاح الذي قامت به الحكومة في 1928. وبالاضافة لتغيير الأبجدية التركية من الأبجدية العربية إلى اللاتينية، ألغي القائمون على ذلك الإصلاح معظم الكلمات العربية والفارسية، واستعاضوا عنها بكلمات جديدة مستمدة من جذور تركية قديمة.

التركية العثمانية كانت غير مفهومة للغالبية العظمى من السكان الذين كانوا، في معظ الأحوال، أميين (ظل معدل الإلمام بالقراءة والكتابة أقل من 10 بالمائة حتى منتصف العشرينيات من القرن الماضي، (ص58)، لذلك، فجميع الأعمال التي كتبت قبل ذلك

التاريخ كانت موجهة بالضرورة إلى أقلية من النخبة. وقد كتب معظم الشعراء العثمانيين العظماء الشعر بالعربية والفارسية وكذلك التركية. فجلال الدين الرومي، الذي يعد أعظم شعراء تركيا على مر العصور، والمعروف خارج تركيا، كتب معظم أشعاره باللغة الفارسية. لكن الإصلاحات التي أدخلت على اللغة التركية والأدب التركي أحالت كل ما كتب قبل الثلاثينيات من القرن الماضي، بما في ذلك خطب مصطفى كمال أتاتورك، إلى اللغويين المتخصصين. وطالبت الأيديولوجية الثورية للجمهورية التركية بقطيعة تامة مع التقاليد العثمانية. لذلك فإن الكتاب الأتراك في الثلاثينيات، كان لا مفر لهم من من أن يستلهموا أوروبا الغربية الحديثة، وخاصة الأدب الفرنسي.

انعكست الفجوة الفاصلة بين الأدب الشعبي الشفوي وبين أدب النخبة في القيم المتجسدة في التقليدين الأدبيين. وفقا لهلمان، «يمكن للمرء أن ينظر إلى الشعر الشعبي كمقاومة ضخمة لتخريب مستمر في قيم الطبقة الحاكمة العثمانية» (ص29)، بينما كتب «الشعراء الملتزمون بنفس المعايير ونفس القيم قرنا بعد قرن، في مواضوعات لا تتغير وتبحث عن البراعة كأعلى منزلة أدبية، منها احتفالات ثالوث النظام العثماني: السلالة، والإيمان، والفتح» (ص4).

اهتم الأتراك دائما بالأدب وخاصة الشعر، وانزلوه منزلة فوق كل أصناف الفنون الأخرى كالشعوب الإسلامية الأخرى. وفي القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين، دافع الكثير من الشعراء عن الحرية والعدالة، والمساواة، وتعرض وعانى كثير منهم الظلم الاضطهاد والسجن، والمنفى بسبب ذلك. وحتى وقت قريب، كان الأدب الشعري هو الأكثر رواجا بين المثقفين الأتراك. يشير هلمان إلى أن الجمهورية التركية منذ تأسيسها في عام 1923، شهدت نشر عشرات آلاف القصائد وآلاف من دواوين الشعر لمئات من الشعراء (ص118). لقد قام هلمان بجهد كبير في وصف الاتجاهات الرئيسة في الشعر التركي الحديث وإبراز الشعراء الأكثر أهمية. يعطي البروفيسور هلمان أفضل ما عنده لدى الكتابة عن شعر القرن العشرين، فهو نفسه شاعر بارع، يكتب بالتركية والانكليزية على حد سواء، ويعود له الفضل في التراجم القيمة والممتازة من الشعر في هذا الكتاب.

ورغم حقيقة أنه يتم التباهي والتفاخر بكتاب ذوي شهرة عالمية مثل ناظم حكمت، يشار كمال، وأورهان باموك الحائز على جائزة نوبل في الأدب، إلا أن الأدب التركي ما زال لا يستحق أن يكون في المراتب المتقدمة بين الآداب الكبرى في العالم. يسرد هلمان المشكلات التي أعاقت تقدم الأدب التركي على النحو التالي: «التشنج الثقافي (التغيرات الاجتماعية والسياسية الكارثية في المؤسسات، والعقيدة، والتكنولوجيا)؛ أزمة اللغة (التي تمثلت في التحول الواسع، ثم إصلاح أوسع في اللغة لم

تقم به أي دولة أخرى، فشهدت اللغة التركية تغير 75 بالمائة من المفردات العربية والفارسية والفرنسية الأصل في 1920، لتصبح 80 بالمائة من المفردات كلمات تركية أصلية، وبهذا انخفضت المفردات المستعارة إلى 20 بالمائة فقط بحلول العام 1970. وكان هناك ما يقرب من مئة ألف مدخل معجمي/ قاموسي في اللغة مطلع القرن الحادي والعشرين)، لكن ثمة ثغرة خطيرة (برغم وجود أعمال أدبية رفيعة، إلا أن الأدب التركي لا يزال يعمل- إلى حد كبير- دون استناد إلى نظريات جمالية متماسكة أو إلى نقد منهجي تحليلي) ؛ ثغرات تقليدية (غياب ملحوظ للفلسفة، وقواعد التراجيديا، والتحليل النفسي العميق)، بالاضافة لما سبق، نجد التقليد المفرط للنماذج، والحركات، والأعمال الرئيسة التي ظهرت في الغرب (ص 35).

لكن أهم ما يميز هذا الكتاب أنه «قراءة» مرتبة ترتيبا زمنيا، للترجمات والمختارات، والتاريخ، والدراسات النقدية في الأدب التركي التي نشرت باللغة الانكليزية منذ 1850 وحتى 2010. وبرغم أنها ليست قراءة شاملة، إلا انها تتضمن أهم الأعمال، وتدل على اهتمام متزايد بالأدب التركي في الآونة الأخيرة: «وبينما تم نشر أكثر من عشرين عملا أكاديميا باللغة الانكليزية في الفترة من 1850 حتى 1950، فإن العقد الأول من القرن الحادي والعشرين شهد نشر أكثر من مائة عمل (ص139)».